

ما أدراك ما الوطن بالنسبة للسوريين؟!!

سورية.. هي تلك الرغبة التي تعتريك  
لتناول "كاسة شاي" وأنت تأكل الجبنة البيضاء البلدية،  
وذاك الخمول الذي يدفعك بعد وجبة الغذاء الدسمة  
إلى قيلولة عالية.  
هي ذاك المزيج الفوضوي الذي يجري في شوارع العاصمة..  
آلاف من السيارات والبشر المختلطة وفق منظومة معقدة  
لا تستطيع أن تدركها أو تفهم آلية عملها  
ولكنها في النهاية تعمل، تمتزج، تتحرك، وتتفصل..  
وتتلاشى الحركة في الشوارع  
لتبدأ الحياة في المنازل التي تحب السهر ،  
وتبقى البيوت المتركمة المتسلقة جبل قاسيون مضاء  
حتى يطفئها الفجر الذي يعلنه صوت الأذان.  
سورية هي فيروز في الصباح..  
وسيرة الحب في ليل دمشقى طويل..  
أو موال شجي عتيق على أنغام قد حلبي.  
سورية.. نشرة الأخبار بين عشق الرجال وكره النساء،  
هي السياسة التي ندمنها دون أن نتعاطاها..  
هي خوف صبيّة عائدة إلى البيت في مساء متأخر،  
هي حب مراهق لبننت الجيران،  
هي وجوه الناس التي ألفناها  
وقصص البيوت التي تناقلناها،

هي النميمة في صبحية "نسوان" و"قعدة" رجالية

في مقهى بين طاولة الزهر وعبق الدخان.

سورية هي جلسة حول "بحرة" في دار قديم

تجمعنا "قرقعة" أركيلة،

عشقناها وهي ترسم تنهيدة ألم في الهواء،

هي عدوى الضحك على طرفة بايخة" تنتشر بين الأصحاب

وتتمادى لتصبح قهقهة عالية لا تعباً لا بالمكان ولا بالزمان.

سورية هي طبخة "شاكرية" على مائدة كريم

دعا إليها كل الجيران،

الكل يحمدون الله على النعمة

ويدعون أن يحفظها من الزوال.

سورية.. هي نزعة طفل للتسرب إلى الشارع

واللعب مع أولاد الجيران،

هي رائحة الطبخ تفوح عند باب كل دار وقت الغذاء،

وجلسة دافئة لأفراد العائلة

حول مدفأة المازوت في ليلة باردة.

سورية.. هي الحارة والأصحاب،

هي المدرسة

والطريق الذي "تسكعناه" مئات المرات،

هو الطاولة التي درسنا عليها

والغرفة التي تشاركنا بها إخوة وأخوات،

هي همونا الصغيرة التي كبرت

وأحلامنا الكبيرة التي تضاءلت،

هي الذكرى التي تجمعنا في الماضي

والأمل بلقاء في المستقبل قد لا يكون.

سورية.. هي الحب القديم،

هي القلب الذي خفق في صدورنا أول مرة،

هي الغيرة التي اشتعلت على فتاتنا تضحك لرفيق

لنتترك في النفس حرقه لذيدة،

هي حلاوة اللقاء الذي كان وربما لن يتكرر،

هي الحياة التي انتزعتها من عمر مضى

واحتفظنا بها مجرد ذكريات..

هي ضحك، بكاء، مئات الكلمات،

أحاديث وصور تبعثرت في ذاكرتنا يستحضرها الحنين

ويحفظها الشوق ونحن نعرف بأنه لا أمل لنا في اللقاء.

سورية كلمة عندما نسمعها، تشتعل قلوبنا بالمحبة،

وتتلثم ألسنتنا مثل مراهق يريد أن يبوح لفتاته بكلمة..

"أحبك".